تجليات التناص الديني في مقامات "بديع الزمان الهمذاني"

Manifestations of religious intertextuality in the shrines of"badi al zaman al hamadhani"

أحلام الواج

جامعة يحيى فارس بالمدية (الجزائر)

ahlemlouadj1993@gmail.com

تاريخ الارسال:2020-10-06	تاريخ القبول:2022-11-12	تاريخ النشر:2022-12-30

الملخص

شغل التناص حيزا واسعا في حقل الدراسات النقدية العربية و الأوروبية على السواء، حيث انبثقت عنه نظريات عديدة نهل منها النقاد لإنتاج نصوصهم المبدعة ضمن دلالات متعدّدة لها فاعلية على مستوى التّلقي و التّأويل، وقد وجد هذا المصطلح تسميات متعدّدة في التّراث العربي من بينها نجد: الاقتباس، والتضمين، والسرقة، والتلميح، و غيرها.

يعد التناص الديني المرجعية الأساسية الّتي يستند إليها الأدباء لإثراء أعمالهم الإبداعية وذلك من خلال الاعتماد على المصادر الدينية أهمها النص القرآني، والحديث النبوي، ومحاكاة قصص الأنبياء، فالموروث الديني على تنوع دلالاته و اختلاف مصادره شكّل مصدرا إلهاميا و محورا دلاليا للعديد من المعاني و المضامين التي استوحاها الكتاب في كتاباتهم من بينهم نجد بديع الزمان الهمذاني رائد فن المقامة، والذي استند في مقاماته على النصوص الدينية من أجل إثراء موضوعاته الفكرية، وتنمية الجوانب الفنية فيها.

كلمات مفتاحية: التناص الديني؛ المقامة؛ مرجعيات التناص؛ بديع الزمان الهمذاني.

Abstract:

In the field of Arabic and Western monetary studies, there has been a great deal of space in the field of Arabic and Western monetary studies, and many

theories have emerged from them, such as critics, to produce their creative texts within multiple meanings that are effective at the level of interpretation and reception. This term has been found in the Arab heritage with several names including: quotation, inclusion, theft, hint, reference and others.

The religious interrelationship is the basic reference on which writers are based to enrich their texts by relying on the Qur'anic text and the prophetic Hadith and the simulation of the stories of the Prophets. The religious heritage on the diversity of its indications and its different sources is a source of inspiration and focus for many meanings and contents inspired by the book. Among them was Badi'zaman Al-Hamzani, Ra'id Al-Maqam, who based his writings on religious texts in order to enrich his intellectualsubjects and develop the artistic aspects of his works.

Keywords:religious harmony ؛ established ؛ references to harmony؛BadiyzamanHamadhani.

*المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

يندرج مصطلح التناص ضمن المفاهيم الحديثة في الساحة النقدية المعاصرة، و الّتي تسعى إلى تأسيس نظرية أدبية حديثة، و بدأ هذا المفهوم حديثا عند الشكلانيين الروس و بالتحديد مع "شكلوفسكي" victor chklovskiالّذي جاء بهذه الفكرة و أخذها عنه "ميخائيل باختين"mikhail bakhtine(1895م-1975م) ، لكن ظهور هذا المفهوم كمصطلح كان على يد الباحثة البلغارية "جوليا كريستيفا"julia kristeva (1941م)، وبفعل التّرجمة تعدّدت تسميات هذا المصطلح في السّاحة النّقدية العربية منها : الاقتباس، التضمين، و السرقة وغيرها .

شكّل التناص الديني محورا أساسيا في بناء مقامات الهمذاني، و لا شكّ أنّ مظاهره تحمل أبعادا دلالية متعدّدة، ويرجع السبب في ذلك إلى الانبهار بالنص الديني من ناحية اللغة و الأسلوب، و يقصد بالتناص الديني في المقامة تداخل و تفاعل نصوص دينية

متضمنة من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو القصص الدينية مع النص الأصلي للمقامة.

لجأ الهمذاني إلى توظيف الآيات القرآنية في ثنايا مقاماته حتى تصبح أكثر تأثيرا في المتلقي، ويفسح المجال لتأويل القارئ، حيث استحوذت نصوصه على تنوع كبير من التأويلات مستنبطة بمدلولات دينية هذا ما منحها أبعادا دلالية متعدّدة وقيما سامية.

2. التناص؛ مفهومه و جذوره في النقد العربي قديما وحديثا

1.2 التناص لغة:

تعدّدت الدلالات اللغوية لمادة "نصص"، وقد جاءت في لسان العرب « **بمعنى رفع الشيء** ».[1] وجاء في تاج العروس «**تناص القوم إذا ازدحموا**»[2]. و عليه فإنّ التناص هو التقاء نص بنص آخر فيحدث بينهما تقاطع أو تداخل و تنتج عن عملية التفاعل نصوص جديدة تحمل دلالات متعدّدة. ف «**التناص في اللغة من نص و يقال فلانا: استقصى مسألته عن شيء حتى استخرج كل ما عنده، و النص و النصيص: السير الشديد و الحث، ولهذا قيل: نصصت الشيء رفعته**»[3]. فكل هذه المعاني تصب في إطار التداخل والتفاعل.

2.2التناص اصطلاحا

عرّف التناص قديما باسم التضمين، و بالتالي فهو يشير إلى تفاعل النصوص فيما بينها ، و يعرّف تودوروف todorove التناص بقوله :« **إنّ كل نص هو امتصاص و تحويل الكثير من نصوص أخرى، فالنص الجديد هو إعادة إنتاج النصوص و أشلاء نصوص معروفة وسابقة أو معاصرة، تابعة في الوعي واللاوعي الفردي والجماعي** ».[4]وعليه فلا توجد كتابة مبتكرة خالصة دون أن تتأثر بغيرها، فكل نص ما هو إلاّ امتداد لنصوص سابقة، فالكاتب لا يبدع من فراغ بل لابد أن يستعين بنصوص أخرى حتى يتمكّن من إنتاج نصوصه في حلّة جديدة ، لذلك يجب أن يحمل المبدع خلفية فكرية وثقافية واسعة ، وقد توصل النقاد المعاصرون في دراساتهم النّقدية إلى حقيقة هامة مفادها أنّ « **النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه، و مستقبله اللذين يمنحانه الخصوبة، و ينتشلانه من العقم**».[5]

فكل نص لا ينفصل عن فترتين الماضي الّذي شكّل أطره الأساسية و المستقبل الّذي سيثبت وجودهفي السّاحة الأدبية والنقدية.ومن ضمن «**"آليات التناص: التوالد والتناسل والتواتر والمحاكاة والتحويل والمشابهة والمماثلة وغيرها من الآليات التي اختزلها البعض في التعضيد والسخرية»**[6].

توصلت "جوليا كريستيفا إلى أنّ «**النص ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنّه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية»**[7]. فكل نص ينهل من نصوص سابقة ومنها يتّخذ دلالات جديدة تعبر عن رؤى وتصورات الكاتب حول الموضوع المعالج.

3.2 فاعلية التناص في النقد العربي القديم:

انشغل الخطاب النقدي القديم بهذه الظاهرة وهذا ما تجلى في علاقة القديم بالمُحدث و اللفظ بالمعنى، و قد عرف قديما باسم السرقة الأدبية «**فباب السرقات بالمفهوم الّذي طرح في تراثنا النقدي والبلاغي ، حيث توسع فيه العلماء وقدموا مقاربات مختلفة له و لغيره من المسميات التي أطلقوها على أنواع السرقات و ما يدور في فلكها على المستويين النظري و التطبيقي»**.[8]فمسألة التّداخل بين النصوص الأدبية كانت موجودة منذ العصر الجاهلي، و هذا ما تجسّد في ملاحظات الشعراء و النقاد لتلك العلاقة الموجودة بين النصوص حيث جاء في قول زهير بن أبي سلمى:

«**ما أرانا نقول إلاّ رجيعا أو معادا من قولنا مكرورا**» [9]

فالشاعر مهما كانت موهبته فإنّه يستعين بنصوص أخرى و يخرجها في حلة جديدة .

4.2التناص في النقد الحديث و المعاصر:

حاول النقاد العرب في العصر الحديث إعادة صياغة المفاهيم والمصطلحات النقدية وفق التصورات النقدية الجديدة، و قد عالج مصطلح التناص العديد من النقاد من بينهم نجد "**محمد مفتاح**" الّذي يرى أنّ كل نص هو نتيجة تلاحم العديد من الأفكار ، فالتّناص هو « **الدخول في علاقة و هو تعالق النصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»**[10]. فالتناص حسبه هو تداخل نصوص مع غيرها بطرق متعدّدة تخرج النص الجديد وفق رؤى و تصورات جديدة، و قد أطلق "**محمد بنيس**" على التناص مصطلح "التداخل النصي" ،

وجاء "**سعيد يقطين**" بمصطلح "التفاعل النصي" ، فالتناص حسبه «**مجموع النصوص التي يمكن تقريبها من النص الموجود تحت أعيننا ، فالتناص يحقق وجوده في النص من خلال تجسيده في أشكال كثيرة منها تحويل لنص السابق بعد تمثيله**»[11]. فكل التعاريف تتفق على أنّ التناص ما هو إلاّ تقاطع النص اللاحق بالنص السابق. و قد استعمل جل النقاد المعاصرون هذا المصطلح «**كأداة إجرائية لنقد النصوص واقتحام عواملها الثقافية والجمالية إذ أصبحت الإنتاجية الشعرية تمثل في أغلبها عملية استعادة لمجموعة من النصوص القديمة في شكل خفي أحيانا أخرى، بل إنّ قطاعا كبيرا من هذا الإنتاج الشعري يعد تصويرات لما سبقه، أن المبدع أساس لا يهتم النضج الحقيقي إلاّ باستيعاب الجهد السابق عليه في مجالات الإبداع المختلفة**»[12]. فكل التعاريف تصب حول معنى واحد وهو أنّ كل نص امتداد لنصوص سابقة و تطوير لها ، و المبدع مهما علا شأنه لا يمكن أن يكتب إلاّ بعد استناده إلى مجموعة من النّصوص الّتي يحتويها مخزونه الفكري و الثّقافي.

3. مرجعيات التناص الديني في مقامات بديع الزمان الهمذاني

1.3 المقامة ؛ مفهومها وطبيعتها الفنية

المقامة فن من الفنون النّثرية الّتي عرفها العرب سابقا، وقد ظهر هذا الفن في القرن الرابع للهجري المواقف للعاشر ميلادي، و تأسّس على يد بديع الزمان الهمذاني، فهي « **حكاية قصيرة أنيقة الأسلوب تشتمل على عظة أو ملحة. ومعنى المقامة في الأصل المقام أي موضع القيام، ثم توسعوا فيها فاستعملوها استعمال المجلس والمكان، ثم كثرت حتى سموا الجالسين في المقام مقامة كما سموها مجلسا، إلى أن قيل لما يقال نفسها من خطابة أو عظة و ما أشبهها مقامة أو مجلس، فيقال: مقامات الخطباء، ومقامات القصاص، ومقامات الزهاد؛ وقد نشأ هذا النوع من القصص في أواسط الدولة العباسية وهو عهد الترف الأدبي و الإبداع الصناعي الأنيق. وقد أجاده بديع الزمان إجادة أحلته منه محل الزعيم**»[13]. فهي تتميّز بجمال الأسلوب، وقد انصبّ اهتمام كُتّاب هذا الفن حول تحسين الألفاظ وتزيينها وأصبحت تنافس الشعر من حيث احتوائها على

المحسنات اللفظية، لكنها لم تحظ بالاهتمام والدراسة من قبل الباحثين والنقاد، ذلك أنّ جلّ اهتمامهم كان منصبا حول الشعر، وتتّخذ المقامات اسما لها من خلال المكان الّذي عقدت فيه فمثلا المقامة البغدادية سميت بهذا الاسم لأنّها عقدت في بغداد، و الجاحظية نسبة إلى الجاحظ الذي تم ذكره في المقامة، وعليه فإنّ المقامة من حيث نشأتها تفصح عن كم هائل من التفاعلات الثقافية وتفكك المرويات السردية الّتي سبقتها، فالكاتب أو المبدع لا يكتب من فراغ بل لا بد من وجود مرجعية فكرية وثقافية ينطلق منها لبناء نصه الجديد.

عالجت المقامة العديد من الموضوعات المرتبطة بالجانب الفقهيأو ما يعرف بالجانب الديني، فارتباطها بالجانب الديني و الأخلاقي هو الّذي دفع بالعديد من النقاد و الباحثين إلى إدراج مقامات القصاص و الوعاظ ضمن الأصول الحقيقية التي تكوّنت منها مقامات بديع الزمان الهمذاني، فمعالجتها للموضوعات الدينية الّتي تحثّ على خدمة المجتمع ووعظه وإرشاده جعل النقاد والباحثين يدرجونها ضمن مقامات بديع الزمان الهمذاني، وكانت الأحاديث التي تتضمنها موضوعات المقامة تعنى بالنصح والإرشاد، فـ« **لم تعد المقامة، وقد استقامت نوعا قصصيا، تقترن بـ"الحديث"، ذلك أنّها أصبحت تحيل على وقائع المتخيلة، مسندة إلى راو، يقدمها، لا على سبيل التحقق من صدقها، شان الوظيفة التي كان يقوم بها الخبر، على أنها نوع من القصص الذي يصدر عن موهبة أدبية، غايتها ابتداع قصة، وليس رواية واقعة، ممّا جعل المقامة، لتحقيق هذا الهدف، تقوم على راو وهمي، يختلق متنا وهميا**»[14]. فأية حكاية مهما كان نوعها تتطلّب راويا يقوم بسرد أحداثها، و يرسخ المضامين التي تسعى إلى نشرها ، كما تتطلّب بطلا الّذي هو محور الحكاية التي تدور حولها الأحداث، ويكون هو المنتصر في النهاية ، فالراوي والبطل من أهم مكونات المقامة ولا يمكن الاستغناء عنهما، فغياب أحد هذين العنصرين يُفقد المقامة طابعها الذي عرفت به، ويفقدها خصوصياتها الفنية الّتي تميزها، لذلك لا بد من وجود هذين العنصرين، كما أنّ أسلوبها أصبح ينافس أسلوب الشّعر وذلك من خلال توظيف المحسنات البديعية والصور البيانية، ومن هنا لا يمكن الحكم عن أي الفنين أهم و أرقى ذلك أنّ تزيين الألفاظ والعبارات لا يعطي المركزية السردية لفن على حساب فن آخر.

تطوّرت المقامة على يد العديد من الكتّاب العرب كالحريري والهمذاني، وابن دريد، وابن فارس وغيرهم، وأثّروا على غيرهم من الحضارات الأخرى، وكتبوا على منوالها، ومن هنا

يمكن القول إنّ« **المقامات العربية التي كانت في الأصل ابتكارا شرقيا ظهر على أيدي ابن دريد والهمذاني والحريري. وانتقلت المقامات إلى الأندلس منذ ظهورها ونسج أدباء الأندلس منوالها. ولسنا نشك في أنه كان لتلك المقامات الشرقية والأندلسية فضل كبير في ظهور فن قصصي جديد في اسبانيا المسيحية منذ منتصف القرن السادس عشر، ونعني بهم اصطلح على تسميته بالرواية البيكارسكية... وبطلها أشبه ما يكون ببطل المقامة إذ هو شاطر محتال يعيش في بيئة قاسية ويستعين على الجوع والبطالة بالحيل وخداع البسطاء**»[15]. وكما عرف العرب فن المقامة فإنّ الأوروبيين كان لهم نوعهم الأدبي الخاص بهم، والّذي يماثل المقامة عند العرب من حيث البنية السّردية وحتّى المضامين، وظهر هذا النّوع نتيجة الاحتكاك بالعرب، فظهرت الرّواية البيكارسكية لدى الاسبانيين، وتسمّى أيضا بالرّواية الشطّارية، ذلك أنّها تحكي قصص الشطار المهمشين، وقد لقيت رواجا كبيرا حيث عرفت إسبانيا في تلك الفترة (القرن السادس عشر) نشاطا ثقافيا وعلميا واسعا، ومن إسبانيا انتقلت إلى فرنسا وألمانيا، وظهر هذا الأدب في أوروبا كرد فعل على رواية الفروسية الّتي كانت سائدة بكثرة، وما الرّواية الاسبانية سوى ممهّد لظهور الرّواية البيكارسكية، وذلك نظرا للظّروف الاجتماعية الّتي مرت بها إسبانيا آنذاك، فظهر هذا النّوع كتعبير عن المهمّشين والمنبوذين في المجتمع.

4. تمظهرات التناص الديني في مقامات الهمذاني

1.4 القرآن الكريم:

يقصد بالتناص القرآني استحضار النصوص القرآنية و توظيفها في ثنايا النص لإثراء فكرة معينة ، فهو يعطي النص قيمة فنية و جمالية ، لهذا فهو مصدر إلهام الكاتب نظرالما يحمله من معان قوية، وقيما سامية .

لقد وظف الهمذاني النص القرآني باعتباره أهم المصادر الّتي ينهل منها المؤلفون في إبداعاتهم، فهو يعمد على تنصيص مقاماته بآيات قرآنية، حتى يزداد التفاعل بين النص النثري و النص القرآني، ومن بين تلك النصوص التي لها أثر في التعالق النصي، و تضمينا للجانب الديني نجد قوله:«**و قضيت الوطر**»[16]. هنا تناص مع قوله تعالى:«**فلما قضى زيد**

منها وطرا».[17]

كما نجد التناص في إشارات أخرى توحي إلى القصة القرآنية عندما صاغ قوله : «**بما زدته في الثناء ، ثم قال، أظعنا تريد؟ فقلت إي والله**».[18]و هذا تناص مع قوله تعالى « **و يستنبئونك أحق هو قل إي و ربي إنّه لحق و ما أنتم بمعجزين**»[19]. و من الاقتباسات التي وردت في المقامات حين يقول :«**فالق الإصباح و منيره**»[20]. فهذه العبارة مبنية على تضمين ديني في قوله تعالى: «**فالق الإصباح و جعل الليل سكنا والشمس و القمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم**»[21]. فالله سبحانه وتعالى يخلق الأشياء و يتولى أمرها. وقد اتّخذ الهمذاني من الدعاء وسيلة للفت الانتباه و للتّذكير بمعجزات الخالق، إذ نجده يقول:«**اللهم يا مبدئ الأشياء و معيدها... و السماء سقفا و الأرض فراشا**»[22]. لقد استلهم الهمذاني دلائله الناطقة لسلطة الله عز وجل في آيته الكريمة :« **الذي جعل لكم الأرض فراشا و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا و أنتم تعلمون**»[23]. عمل الهمذاني على توظيف هذه الدلائل بغية إنتاج نصوص مغمورة لها تأثير على المتلقي.

و في موطن آخر يصف الهمذاني الشخصية التي التقاها حين راحته في المسير عند بعض القزوينيين حالة سماعه بدعائها، وحين غفلته للنوم سمع أصواتا لها تدعو الله قائلة:

«**أدعو إلى الله فهل من مجيب**

إلى ذرا رحب و مرعى خصيب

و جنة عالية ما تني

قطوفها دانية ماتغيب»[24].

مستمدة من قوله تعالى:«**في جنة عالية(22) قطوفها دانية(23)**»[25]. فمن خلال زيارة الهمذاني لمكان بقزوين وصفه بالجنة نظرا لوفرة خيراته و كثرة أشجاره، فالمغزى الدلالي للهمذاني على أن الله يصف الجنة بأنّها ميسورة فيها ما لذ وطاب من الثمار .وقد ذكر الهمذاني مواعظ دينية ببراعة فنية راقية . وجاء في موضع آخر « **و قد تركت وراء ظهري حدائق و أعنابا و كواعب أترابا**»[26].فهذا القول مستوحى من قوله تعالى:«**إنّ للمتقين مفازا(21) حدائق و أعنابا (22) و كواعب أترابا(23)**»[27]. و جاء في موضع آخر: «**و أنت يا ابن هشام تؤمن ببعض الكتاب و تكفر ببعض** »[28] . هذا القول متضمن لقوله تعالى:

«**أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفر ببعض** »[29]. وقد جاء في المقامة الأهوازية «**إن وراءكم موارد أنتم واردها**»[30]. متناصا مع قوله تعالى: «**و إن منكم إلاّ واردها**»[31]. استطاع الهمذاني من تضمين مقاماته بالعديد من الآيات القرآنية وهذا يعبر عن مخزونه الثقافي الديني الذي هو بمثابة القاعدة الأساسية التي انطلق منها في بناء مقاماته.

«**فصاح بنا صيحة كادت لها الأرض تنفطر. والنجوم تنكدر**»[32]. ففي هذا القول تناص مع قوله تعالى:«**وإذا النجوم انكدرت**»[33]. وجاء في موضع آخر« **واذكروني أذكركم. وأعطوني أشكركم**»[34]. وهذا القول مستمد من قوله تعالى:«**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**»[35]. وجاء في موضع آخر « **وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل حيث تبلى السرائر**»[36]. يتضمن هذا القول تناص من قوله تعالى: «**إنه على رجعه لقادر(8) يوم تبلى السرائر(9)**»[37]. فتوظيف الهمذاني للآيات القرآنية أثرى مقاماته، ومنحها دلالات جديدة، تعبّر عن الواقع المعيش ومتغيّراته المتعدّدة.

2.4 الحديث النبوي الشريف:

استند الهمذاني إلى الحديث النبوي الشريف في إثراء تجربته وفق ما يتناسب مع نصوصه و هذا ما تجسد في العديد من المقاطع نذكر من بينها: «**أشارتني و رفقة وليمة فأجبت إليها للحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و سلم :"لو دعيت إلى كراع لأجبت، و لو أهدي إلي ذراع لقبلت"** »[38]. و في الحديث دليل على حسن خلق الرسول صلى الله عليه و سلم ، و تواضعه، و على قبوله الهدية . و في استشهاد آخر استحضر دليل صلاة الاستسقاء، فأشار إليها حينما قال:«**اذبحوا في مجرى هذا الماء بقرة صفراء، و أتوني بجارية عذراء، و صلوا خلفي ركعتين يثني الله عليكم عنان هذا الماء**»[39]. حين ذكرت في رواية ذكرت فيها هذه الصلاة ، فعن قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان عن عبد الله بن أبي بكر بن عباد بن تميم عن عمه أن النبي صلى الله عليه وسلم«**استسقى، فصلى ركعتين و قلب رداءه**».[40]

و من الأحاديث الّتي استوحاها ضمن التعالق في قوله:« **اللهم اجعلنا خيرا مما يظن بنا**»[41]. عن الحديث المأثور عن أبي بكر رضي الله عنه: «**اللهم اجعلني خيرا مما يطنون، و**

اغفر لي ما لا يعلمون، و لا تؤاخذني بما يقولون فإنك تعلم و هم لا يعلمون»[42].

وقد جاء في موضع آخر :« **رأيته صلى الله عليه وسلم في المنام، كالشمس تحت الغمام ، والبدر ليل التمام، يسير و النجوم تتبعه»**[43] . و يقصد بالنجوم هنا أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم ، تناصا مع قوله صلى الله عليه و سلم «**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»**[44] .

3.4 القصص القرآني:

وظّف الهمذاني في مقاماته العديد من القصص القرآنية و ذلك لما تحمله من طاقات إيحائية مختلفة ، وهذا يعكس ثقافة الكاتب حيث وظفها في أسلوب يكشف دلالات عميقة بتقنيات مختلفة يدعو من خلالها إلى استنباط علاقات تهدف إلى موضوعات مختلفة.

وظف الهمذاني القصص القرآنية في أنماط مختلفة مثل ما جاء في قوله : «**اذبحوا في مجرى هذا الماء بقرة صفراء. وأتوني بجارية عذراء»**[45].فهذه العبارة مأخوذة من قصة سيدنا موسى عليه السلام حينما أمره الله بتبليغ قومه بذبح البقرة لقوله :«**و إذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»**[46]. حيث تناص مع قصة سيدنا موسى في قوله:

«يا حسنها فاقعة صفراء ممشوقة منقوشة قوراء»[47]. فدلالة اللون في لفظة صفراء تدل على النقود في ظل الإيحاء بوصف الحلية التي لبستها الشخصية على أنها لا تبصر بهدف الشفقة حيث يقول:

«يا قوم قد أثقل دَيني ظهري و طالبتي طلّتي بالمَهر»[48]. وخير دليل في قوله تعالى:«**لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور(46)**»[49]. أدى الهمذاني علاقة تناصية بين القصة الدينية و الشخصية التي تمثل النص من خلال تفاعلها في بناء الحجة التي أقام الحيلة عنها. و من القصص التي اشتغل الكاتب عليها نجده يروي قصة حين يفضي من خلالها على دلالات ، يمنحها استنباط الدلالات الأصلية في تناص مع موقف لقاء سيدنا موسى عليه السلام مع رجل يدعى الخضر أوتي من عند الله رحمة وعلما ، فيقول في نصه : «**وسرنا حتى أتينا قرية استطعمنا أهلها»**[50]. هنا يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى :«**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما**

فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتّخذت عليه أجرا(77)»[51]. فعمد إلى تثبيت رؤيته عبر مستوى الدلالة في تذكير المتلقي و إعطاء النص رمزية القص، أما الشخصية التي سلك على منوالها في القرآن الكريم تتسم بفائدة غيرها، حين يبلغ ثمن إقامته للجدار على وجود كنز تحته ينتفع به الأخوين اليتيمين.

و في مقام آخر ضمن الكاتب إشارة واضحة تتناسب مع المقصود الذي يرمي إليه و هو اتخاذ الموعظة التي تخدم الإنسان والدين، وهذا ما تجسّد في القول الآتي:«**يابني إني و إن ثقت بمتانة عقلك، و طهارة أصلك،فإني شفيق، و الشفيق سيء الظن ، و لست آمن عليك النفس و سلطانها، و الشهوة وشيطانها، فاستعن عليها نهارك بالصوم ...إن الله كريم... إنه المال عافاك الله فلا تنفقن إلا من ربح**»[52]. فهدف الهمذاني يكمن في الامتثال بقصة سيدنا لقمان و وصاياه لابنه الذي يعظه للحرص في الوقوف عند حدود الله و الثبات بالاتصاف بها في تناص مع نصائح لقمان لابنه و المتمثلة : عدم الشرك بالله، بر الوالدين، فعل الخير، إقامة الصلاة، والصبر في الشدائد، و النهي عن التكبر. فالهمذاني من خلال تضمين مقاماته بالقصة القرآنية يسعى إلى الحفاظ على القيم والمبادئ الدينية التي تعود بصاحبها إلى رضى الله ونصرته.

4.4 توظيف الشخصيات الدينية :

لم يقتصر اهتمام الهمذاني على استحضار النصوص الدينية المستوحاة من القرآن الكريم و الحديث الشريف، و إنّما أدخل على مقاماته شخصيات تحمل بعدا دينيا و هذا ما تجسّد في العديد من المقاطع نذكر من بينها:«**يا فراق المحبين، يا ساعة الحين، يا مقتل الحسين**»[53]. هنا يستحضر الهمذاني شخصية الحسين بن علي بن أبي طالب، و من الشخصيات ذات الأفق الديني التي وردت في مقامات الهمذاني نجد شخصية يعقوب عليه السلام عندما قال:« **وإنما كانت حاجة في نفس يعقوب قضاها**».[54] والتي تعني في محاكاة الهمذاني للشخصية التي افتقدها الوزير القاسم ابن عبيد الله و قصتها المكوث في المنزل و عدم الخروج لما صنع إليه العنبس ، فاستوحى من هذه الشخصية الدينية قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما أمر أبناءه الدخول من أبواب متفرقة خوفا من العين و ما قد

يصبهم من الملك في قوله تعالى:«**و لما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها و إنه لذو علم لما علمناه و لكن أكثر الناس لا يعلمون(68)**»[55]. و في موطن آخر نجده استحضر شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم مع ما ينسجم مع مواقفه و رؤياه، فلهذا نجده استند للدلالات للإشارة و التلميح إلى أحداث مرّ بها الرسول صلى الله عليه و سلم في أحداث تاريخية عندما ساوم قريش بترك هذا الدين في قول الهمذاني :«**و الله لو وضعت إحدى رجليك على أروَند، و الأخرى على دُنباوَند، و أخذت بيدك قوس قزح، و ندفت الغيم في جباب الملائكة، ما كنت إلا حلاجا**»[56].هنا تناص مع قوله صلى الله عليه وسلم «**والله لو وضعوا الشمس في يميني ، و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته**»[57]. وهكذا وظف الهمذاني الشخصيات الدينية من أجل جعل الأحداث تبدو أكثر واقعية و أكثر تأثيرا في المتلقي فهي تفسح المجال للقارئ للتلقي والتأويل .

خاتمة:

استعان الهمذاني بالتناص الديني في مقاماته وهذا يعكس سعة مخزونه الثقافي و انبهاره بأسلوب و لغة الخطاب الديني بمختلف أنواعه هذا ما جعل مقاماته مفعمة بالجانب الديني و ما يحمله من قيم تخدم مختلف مجالات الحياة .

أسهمت مقامات "بديع الزمان الهمذاني" في تغيير أفكار ورؤى المتلقي، من خلالها دفعه إلى العمل وفق مبادئ الدين الإسلامي، وقد كان للمركزية الدينية الدور الكبير في تهذيب الأعمال الإبداعية على مختلف أنواعها، وذلك بغية خدمة الدين والدعوة إلى العمل بمبادئه، وقد كانت جل مقاماته تعنى بالوعظ والإرشاد.

وظف "الهمذاني" مختلف مصادر الأدب الإسلامي والمتمثلة في القرآن الكريم، والحديث النبوي، والقصص القرآني، وذلك بغية توجيه القرّاء ووعظهم، وإرشادهم، فكانت مقاماته مفعمة بالجانب الديني وما يحمله من قيم.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، 2000، لسان العرب ، مادة (نصص) ، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص287 .

[2]. الزبيدي ، 1979، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (نصص) ، تح عبد الكريم غرباوي، مطبعة الحكومة ، الكويت ، ج1، ص440

[3]. ابن منظور، 2004، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، مج14، ط3، ص281.

[4] . عزام محمد ، 2001، النص الغائب-تجليات التناص في النص العربي- ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص28.

[5]. الأحمر فيصل، و داودة نبيل، 2008، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ص 121.

[6]- بقشي عبد القادر ، 2007، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، ص52.

[7]- كريستيفا جوليا، 1991، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، ص14.

[8]. شعث أحمد جبر ، 2014، جماليات التناص، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، الأردن، ط1، ص51 .

[9]. السكري أبو سعد، 1950، شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب العلمية المصرية، القاهرة، ص154.

[10]. مفتاح محمد، 1992، تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص- ، المركز الثقافي العربي، لبنان، ص119.

[11]. السد نور الدين، أسلوبية و تحليل الخطاب دراسة نقدية في النقد العربي الحديث- (تحليل الخطاب الشعري و السردي) ، دار الهومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،ج1، ص 108.

[12]. مباركي جمال ، التناص و جمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، ص118-119.

[13]الزيات

أحمدحسن،تاريخالأدبالعربي،للمدارسالثانويةوالعليا،دارنهضة،مصرللطبعوالنشر،القاهرة،ص398.

[14]عبداللهإبراهيم،السرديةالعربيةبحثفيالموروثالحكائيالعربي،ص175

[15]شكريمحمدعباد، 1972، الروايةالعربيةوأزمةالضميرالعربي،مجلةعالمالفكر،المجلدالثالث، ، ص44.

[16]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة البلخية، ص19.

[17] . القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الأحزاب، الآية 37

[18]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة البلخية،ص18..

[19] القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة يونس، الآية53.

[20]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني ،المقامة الأذربيجانية،ص53..

[21]-القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الأنعام، الآية96.

[22]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني ،المقامة الأذربيجانية،ص53.

[23]. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة ، الآية 22

[24]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة القزوينية ، ص103.

[25]. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الحاقة، الآيتين22. 23.

[26] أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، المقامة القزوينية، ص105.

[27]. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة النبأ، الآيات21. 22. 23.

[28]أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة المارستانية، ص145.

[29] القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية53.

[30]أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الأهوازية، ص68-69.

[31]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع،سورة طه، الآية71

[32] أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الأهوازية، ص68.

[33]سورة التكوير، الآية2.

[34]أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص 99

[35]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة البقرة، الآية152.

[36]- أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الوعظية، ص156

[37]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الطارق، الآيتين 6. 7.

[38]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الجاحظية، ص87.

[39]. المصدر نفسه، المقامة الموصلية،ص85.

. الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، طبعة جديدة، بيروت، [40]256هـ،ص249.

[41]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني ،المقامة الشيرازية، ص195.

. عز الدين أبو الحسن بن محمد الجزري :ابن الأثير، تح :عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربية، [42]بيروت، لبنان،ج2،ص221

[43] أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الأصفهانية، ص65

[44] ابن عبد البر، جامع بيان العلم و فضله، ج1،ص91، ابن حزم: الأحكام، ج6، ص82

[45]. مقامات بديع الزمان الهمذاني: المقامة الموصلية، ص119

[46]. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع سورة البقرة، الآية63.

[47]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة المكفوفية،ص95.

[48]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني،المقامة المكفوفية،ص94.

[49]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الحج، الآية46.

[50]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني،، المقامة الأرمنية،ص215. 216

[51]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الكهف، الآية 77.

[52]أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني،، المقامة الوصية،ص233.

[53]. المصدر نفسه، المقامة الدينارية،ص247

[54]. المصدر نفسه، المقامة الصيمبرية،ص245.

[55]القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة يوسف، الآية68.

[56]. أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة الدينارية،ص249

[57]. ابن هاشم الأنصاري، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،ص12.